مراجعة كتاب: رجل الدولة* book review

م.د.فاطمة عطا جبار
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي/ دائرة البحث والتطوير
Fatma.ata1101b@copolicy.uobaghdad.edu.iq

يعد كتاب رجل الدولة احد النتاجات العلمية للاستاذ المتمرس الدكتور **رياض عزيز هادي**/ كلية العلوم السياسية بجامعة بغداد ، اذ شخص في مدخل الكتاب مجموعة من المفكرين وقادة الدول الذين بينوا مفهومهم عن الدولة وعن افكارهم المؤثرة في ادارتها التي يحيون فيها ابتداءً من ارسطو والفارابي وتوماس هوبر مروراً بالملك لويس الرابع عشر حينما قال ايام استئثاره بالملك "انا الدولة" ومقولته في ايام مرضه ومن ثم وفاته "سأذهب ولكن الدولة ستبقى". وهيكل وماكس ويبر وارنولد توينبي ولينين، واندرية هوريو ومنذر الشاوي، وجورج بردو. ليستخلص بعد ذلك بأن **الدولة وليدة السياسة وابنتها، وجزء منها وليس العكس**. واشار الى مقولة الجنرال والمهندس الفرنسي مارك رينيه مونتالمبير ١٧١٤-١٨٠٠ الذي عاصر ملك فرنسا لويس الخامس عشر" **اذا لم تشغل نفسك بالسياسة فأن السياسة ستنشغل بك**". وعلى ذلك فالإنسان وسيلة وغاية السياسة في نفس الوقت، والدولة هي احدى الوسائل والغايات السياسية الاساسية.

شرح الكاتب مفهوم رجل الدولة ، بكونه مفهوم اثار الجدل والنقاش وهو من المفاهيم الاكثر تداولاً في عالم السياسة. وهو مفهوم حديث ومعاصر ارتبط بظهور الدولة الحديثة في القرن الخامس عشر الميلادي. وقد اعطى صورة واضحة عن ماهية رجل الدولة واهم الصفات والخصائص التي يجب ان يحظى بها. فرجل الدولة يجب ان يكون من الشخصيات التي تتمتع بالخبرة نتيجة التجارب الكثيرة التي مرت عليه في حياته واثرت على تكوين شخصيته. لتنتج لنا شخصاً خبيراً وحكيماً يحظى بأحترام الشعب. وهو ليس على صورة نمطية او مفهوم ثابت يصلح لكل زمان ومكان، اذ ان رسم وتكوين شخصية رجل الدولة تتأثر بالظروف السائدة في المجتمع

*رياض عزيز هادي، رجل الدولة، (بغداد، المكتبة القانونية،٢٠١٨).

والمحيطة به. وهو ما يعني ان تشكيل شخصية رجل الدولة تكون تدريجي وليس مفاجئ. ومن سمات رجل الدولة الاتي : (١- التحسب والتوقع، ٢- اتخاذ القرار،٣- الثبات والتماسك،٤- تنفيذ ما يقرره). ومن اهم الصفات التي يجب ان يتمتع بها رجل الدولة هو عدم التمسك بالسلطة لمدة طويلة لاسيما اذا كان التمسك يؤدي الى اضرار بالشعب والدولة نتيجة الانقلاب العسكري او الرغبة بالتغيير نتيجة تغير مزاج الشعب عن سياسات الحاكم.

بعد ذلك ميز الكاتب بين شخصية **رجل الدولة** و **رجل السلطة** و **رجل السياسة** ووفقاً للجدول المدرج ادناه:

رجل الدولة	رجل السلطة	رجل السياسة
لا يمكن الاستغناء عنه بسهولة وهو الاكثر بقاءً مع الدولة ومؤسساتها لا مع السلطة وتقلباتها. يشغل موقعاً مرموقاً في الدولة واجهزتها. كل رجل دولة بالضرورة ان يكون رجل سياسة. يظهر رجل الدولة في مختلف النظم السياسية والدول.	يتبع الحاكم والسلطة القائمة وهو غالباً ما يختفي او ينسحب بزوال السلطة وتبدلها. يكثر امثال هذا النموذج في دول العالم الثالث ومنها العراق على حد تعبير الكاتب.	يمارس العمل والنشاط السياسي دون ان يكون له موقع رسمي في الدولة ومؤسساتها على عكس رجل الدولة. ليس كل سياسي او رجل سياسة او مختص في العلوم السياسية يمكن ان يكون رجل دولة.

تكون فرصة ظهور رجال الدولة في الانظمة الديمقراطية اكثر منها في الانظمة الدكتاتورية، لخصائص كل منهما في ادارة الدولة والحكم من حيث اتاحة الفرص والامكانيات والسماح للطاقات والقدرات والكفاءات بالبروز. ورجل الدولة مسؤولاً مهماً في الدولة وصانع قرار او احد المشاركين في صناعته بحكم المنصب والخبرة والكفاءة. ومن خصائص رجل الدولة الاخرى المهمة التكوين العلمي لشخصيته وثقافته بعده عنصر اساس من عناصر تكوينها. ولابد ان يكون اقل تأثراً بالمصالح الفئوية ويتمتع بمواهب الاقناع السياسية والقدرة على التخلص من

المواقف المحرجة ولديه مهارات عالية في التفاوض والمساومة اكثر من رجال السياسة. وليس بالضرورة ان يكون للدولة الواحدة رجل دولة واحد ايضاً، بل بالإمكان ظهور عدد من رجال الدولة. اذ قد يكون من بين افراد السلطة التنفيذية (وزراء، كبار الدبلوماسيين ، كبار الاداريين)، فلا يقتصر ظهوره على رئيس الحكومة او الدولة. ولا يقتصر ظهوره على اوقات السلم والاستقرار ، اذ يكون ظهور رجل الدولة ذا وقع اكبر في اوقات الازمات والحروب ، الذي من خلاله يكون تجاوز الازمات والحروب بشكل ايسر من دونه ومن الامثلة على ذلك رئيس الوزراء البريطاني الاسبق ونستون تشرشل والجنرال شارل ديغول في فرنسا كرجلي دولة خلال الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥ وغيرهم. وعلى الرغم من المآخذ على طول مدة بقاء رجل الدولة في الحكم الا انها تظهر صفاته بشكل اوضح وتصقل مواهبه وقدراته بالتمرن والممارسة.

اشار الكاتب الى كثرة وجود رجال الدولة في الدول الغربية (اوربا- واميركا الشمالية)، وقلة ظهورهم في دول العالم الثالث. ويكون ظهورهم اقل بشكل اكبر في ظل دول ذات نظام الحزب الواحد حيث سادت الانقلابات العسكرية والانظمة الدكتاتورية وحلت رموز القائد والزعيم محل رجال الدولة.

وضع الكاتب للنخبة التي تحيط بقائد الدولة اهمية لا تقل عن اهمية رئيس الدولة بعده رجل دولة. فلا يكفي ان يقود الدولة رجل دولة فقط ولكن النخبة التي تحيط به مهمة وضرورية جداً ،وهذه النخبة لا بد ان تكون من رجال الدولة والخبراء والمتخصصين والكفوئين والمخلصين وغلق الابواب اما المتزلفين والمنافقين من ذوي المصالح الضيقة.

اشار الكاتب الى تصنيف العلماء لرجال الدولة على ثلاثة اصناف، **فالصنف الاول:** المحرضون الذي يتمتعون بقيم عليا للتأثير في الجماهير. **الصنف الثاني:** الاداريون الذين ينسقون بين نشاطات اجهزة الدولة. **الصنف الثالث:** المنظرون الذين يحولون معتقداتهم الى نظريات سياسية.

وطرح ما رأه **جان مالينيون** في قاموسه السياسي من حيث ان رجل الدولة يتربع على قمة الهرم في مجموعة رجال السياسة والذين يمثلون خمسة مستويات : (١- المثير والمحرض ، ٢-

الثوري، ٣- السياسي وهو فوق المحرض والثوري، ٤- رجل السياسة، ٥- رجل الدولة). وبذلك يعد رجل الدولة اعلى درجات رجال السياسة والسياسيين.

اختار الكاتب في الجزء الاخير من الكتاب نماذج معاصرة لرجال الدولة من مختلف انحاء العالم متفق على شهرتهم برزوا من حضارات وثقافات ودول مختلفة منهم : (ونستون تشرشل- المملكة المتحدة، شارل ديغول- فرنسا، محاضر محمد – ماليزيا، يفغيني بريماكوف- روسيا الاتحادية، نيلسون مانديلا – جنوب افريقيا). للبرهان على ان " رجل الدولة تصنعه الظروف وتبرزه المواهب وتصقله التحديات وان شعوب وامم العالم كلها قادرة على انجاب رجال ونساء دولة بغض النظر عن الوانها واجناسها".

وجدنا من الحسن والمفيد الاشارة الى بعض اقوال رجال الدولة التي اشار اليها الكاتب في كتابه انفا ومنها :

١- الرئيس الفرنسي السابق **فرانسوا ميتران** : " انني اقول وافعل ما اؤمن به وما افكر فيه.."

٢- الملك **فيصل ال سعود** : "ان المهم في الحكم ليس الاسم وانما التطبيق فكم من نظام جمهوري فاسد وكم من نظام ملكي صالح والعكس صحيح".

٣- **نوري السعيد**: " الفكرة التي حملتها واتبعتها طوال حياتي هي ان اكون عملياً لا مثالياً... يجب ان لا نهدم شيئاً قبل ان نجد ما هو اصلح منه".

٤- **محاضر محمد** : " لاشيء مجاناً على الاطلاق لا في هذه الحياة ولا في الدار الاخرة فالعمل هو الاساس وهو المقياس".

٥- **ميخائيل غورباتشوف**: " علينا ان نتعلم كيف نعيش في عالم واقعي.. والحياة بحد ذاتها هي التي تعلم التفكير الجديد .. والسياسة هي فن الممكن، اما خارج نطاق الممكن فتبدأ المغامرة".

نستنتج من اقوال رجال الدولة اعلاه اقتران القول بالفعل والنزول الى مستوى الواقع وعدم التحليق فوقه بغية الوصول الى المثالية التي تقترن بالقول دون الفعل، لان رجل الدولة معني بالدرجة الاولى والاساس بالفعل وحل المشكلات والازمات التي تواجه الدولة التي يقودها ، لان

جميع الدول بغض النظر عن درجة تطورها ، ومدى امكانياتها، تمر بمراحل تكونها وتطورها بأزمات ومشاكل تتطلب الحكمة والخبرة من قائدها لاجل التخلص منها ومن اثارها.

ان الاسباب التي دفعت الكاتب لكتابة كتابه المذكور هو كثرة الحديث عن ندرة وجود رجال دولة في العراق بالوقت الذي اشار فيه الى وجود رجال سياسية وسياسيين كُثر سواء كانو من الهواة او المحترمين.

فقلة وجود رجال الدولة في العراق بنظر البعض كان سبباً لتعرض الدولة العراقية لسلسلة ممتدة من الاضطرابات والنكسات والتعثرات. فمن خلال الاشارة الى مفهوم رجل الدولة والصفات والخصائص والسمات التي يجب ان يتمتع بها ولكونه مفهوم متغير غير مستقر وبالاستشهاد بمجموعة من رجال ونساء الدول الحداثويين والمعاصرين، تطلب عطف النظر على منجزاتهم وقراراتهم التي تمكنوا من خلالها النهوض بدولهم وقيادتها الى طريق النجاح ، وتحقيق تقدم بلدانهم والمضي ببنائها على وفق ما يجب ان تكون عليه الدول والنتائج التي تتضح بشعور الرضا من المواطنين، ودرجة تقدم الدولة بين دول العالم الاخرى.

نجد ان الكاتب ركز بشكل مكثف على شخصية نوري السعيد كرجل دولة في العراق ابان العهد الملكي ولم يذكر غيره في ثنايا كتابه كرجل دولة متميز في العراق في العهد الجمهوري وعهد ما بعد ٢٠٠٣م، وهي وان كانت نظرة متشائمة الا انها عكست واقع العراق السياسي المعاصر.

نلاحظ ان العراق قد شهد في مرحلة ما بعد عام ٢٠٠٣م وجود دولة رجال، الذي يعني وجود المؤسسات والدستور اولاً ومن ثم وجود رجالها ثانياً، وهو عكس مفهوم رجال الدولة.

ان الكتاب يخص المعنيين بالسياسة والدولة وصناع القرار (السياسي والاداري) والباحثين والطلبة سواء للدراسات الاولية او العليا والمثقفين. والكتاب يستحق القراءة لخلاصة المعلومات الواردة فيه، ونحن في امس الحاجة الى وجود رجال دولة عراقيين يتمتعون بصفات وخصائص رجل الدولة الامثل للتمكن من قيادة الدولة العراقية وبنائها بالشكل الصحيح الذي يحقق رضا

وطموح المواطنين، ويكفل بناء الدولة العراقية المعاصرة بما يوازي امتلاكها من الامكانيات والطاقات البشرية والموارد الطبيعية.